# برنارد لويس: جهود وأهداف

الباحث/ حسن عبيد عيسى / محافظة كربلاء

عندما يصار للخوض في سيرة أي من المستشرقين من ذوي التأثير،فإن نتيجة البحث تقود إلى تخصص أساس للمستشرق المعني،وربما تضاف إلى ذلك التخصص مهارة محددة دون مستوى الاختصاص الرئيس للمستشرق المقصود.فمثلا،نجد أن المستشرق الفرنسي (لويس ماسنيون الذي(عني بالآثار الإسلامية،واستهل بها نشاطه العلمي،واهتم بكل المشاكل العصرية في البلاد الإسلامية وبتاريخ النظم الاجتماعية في الإسلام،وتوفر على دراسة الشيعة بكل تطوراتها وفروعها، وخصوصا المغالية منها كالقرامطة والنصيرية والإسماعيلية،لأنها كانت تستهويه المذاهب المستورة والحركات السرية،الروحية والسياسية في تاريخ الإسلام)[1].

وعدا عن (ماسنيون) الذي عده (ادوارد سعيد)عبقرياً استثنائياً[2]، قلة ممن تنوعت وتعددت اهتماماتهم في مجال الاختصاص،فيما ثمة جحافل من كبار المستشرقين كرسوا جهودهم في جانب محدد،كالتاريخ الإسلامي أو القرآن أو غيرهما،إلا برنارد لويس الذي حاول أن يبدو على شكل مؤسسة غزيرة الإنتاج متعددة الاهتمامات قوية التأثير حيثما اتجهت سهام أبحاثه التي كانت تماشي(اهتمامته التي توسعت وتنوعت)[3]،ما جعله ربما يتفوق على ما سنيون وتنوعه. خصوصا وانه بلغ من العمر عتياً،ناهيك عن إنه صاحب قضية يرى انه يقوم بواجبه في خدمة قضيته عن طريق تخصصه كمستشرق.لقد كان ينتقي القضايا التي يخضعها للبحث بعناية كونها تؤدي إلى خدمة تلك القضية. فمن هو (برنارد لويس) وما هي قضيته..وكيف خدمها؟.

سوف نوظف أرشيفنا المترع بالاقتباسات والمقالات الصحفية الحصيفة والدراسات المنشورة في الدوريات المعتمدة من أجل بلوغ الغاية المرتجاة..كونها تشكل راصدا دقيقا لسلوك محط بحثنا وأفكاره ونتاجاته وأبعاد ذلك كله وانعكاساتها.

أقباس على سيرة طويلة

إن التعمق في تقصي تفاصيل سيرة (برنارد لويس) يقود إلى إجابات دقيقة على الأسئلة التي أسلفنا إيرادها..مما يفضي بالتالي الى التعرف على الاغراض التي يرنو إليها والجهود التي بذلها سعياً وراء تحقيق تلك الأغراض،وماذا ترتب على ذلك. فالرجل يقبع في مركز دائرة إهتمام كل عربي ومسلم منشد إلى أصله،إذ هو الذي صك مصطلح(الفاشية الإسلامية)[4]،ووضع كرهه للعرب والمسلمين بيد اعتى قوة عسكرية في التاريخ،هي الولايات المتحدة الاميريكة بعد أن نجح في تكوين تيار عقائدي

[1] بدوي،عبد الرحمن،موسوعة المستشرقين،دار العلم للملايين-بيروت،1984 ص364
[2] سعيد،إدوارد،الاستشراق،ترجمة كمال أبو ديب،مؤسسة الأبحاث العربية –بيروت 1981 ص233
[3] ناجي،عبد الجبار،التشيع والاستشراق،المركز الاكاديمي للابحاث،2011،ص246
[4] الشاعر،جمال،دراسة بعنوان(بلاغ كيدي)،صحيفة الأهرام القاهرية،العدد 43934- الأربعاء 21 آذار 2007

يقود تلك القوة.ثم انه صاحب اخطر مخطط في القرن الحادي والعشرين يروم إلى تفتيت الأمتين الإسلامية والعربية.

فالرجل الذي يسعى بخطوات ثقيلة نحو المائة،ولد في لندن سنة 1916، وأنجز دراسته الأولية الجامعية في وطنه،ثم تخصص في الدراسات السامية في جامعة باريس التي منحته دبلوم الدراسات السامية سنة 1937،ونقف لنقارن بين معلومتين متناقضتين،أولاهما للمتخصص في تراجم المستشرقين وهو (نجيب العقيقي) والأخرى لتلميذ (لويس) صديقنا (الدكتور عبد الجبار ناجي)،فالعقيقي يقول إن لويس حصل على الدكتوراه من جامعة لندن1939 [1]،بينما يذكر ناجي انه نالها في الأربعينات من جامعة السوربون في باريس وكانت أطروحته عن أصول الإسماعيلية[2].ونحن نميل إلى ترجيح رأي (ناجي) كونه تلميذ (لويس) وهو الأقرب إليه من (عقيقي).

ولطول وتشعب الرحلة العلمية للرجل الذي يتكلم الانكليزية والعربية والعبرية والآرامية والفارسية والتركية واللاتينية،مما يأخذ حيزا واسعا من البحث بما لا يزيد المتلقي فائدة،فإننا سوف لن نتعقب مناصبه العلمية لكثرتها،ولكنا نختزل ذلك بالقول انه كان عضوا في الهيئات التدرسية لجامعات تقف في الصفوف الأولى من جامعات العالم أو زميلا أو زائرا أو عضو شرف،كجامعة لندن وجامعة كاليفورنيا وجامعة كولومبيا وجامعة إنديانا وجامعة برنستون ومعهد مصر والجمعية التاريخية التركية والجمعية الفلسفية الأمريكية والمعهد الجامعي بلندن وهو عضو في الجمعية الأسيوية الملكية والجمعية التاريخية والمعهد الملكي للشؤون الدولية والجمعية الأمريكية الشرقية.منحته الجامعة العبرية في القدس شهادة الدكتوراه الفخرية سنة 1974[3].ولكي لا نقلل الفسحة الورقية للبحث فقد آثرنا وضع قائمة بأهم كتبه كملحق في نهاية الورقة،مع إن (العقيقي) أحصى في سرده لترجمة (لويس) نتاجاته التي نشرت على شكل دراسات في الدوريات المختلف حتى تاريخ تأليفه لموسوعته.

المكانة الاعتبارية

قد لا نبالغ إذا قلنا إن (برنارد لويس) حظي في أمريكا بما لم يحظ به باحث ولا مستشرق قبله،حتى صار الأب الروحي والعرّاب لأكبر واخطر اتجاه فكري في أمريكا ألا وهو تيار المحافظين الجدد ذي التأثير الخطير على مجرى الأحداث في العالم خصوصا خلال حقبة رئاسة (جورج بوش) الابن،وهو النجم الأكثر تألقا في موقع صنع القرار الأمريكي بعد هجمات نيويورك وواشنطن،إذ كان (أحد أقطاب المجموعة التي خططت فكريا لغزو العراق وكانت نظريته تقول[ليس مفيدا التساؤل لماذا يكرهنا المسلمون،بل من المفيد إعادة صياغة السؤال بحيث يكون: لماذا لا يخافنا المسلمون؟].وقد برر ذلك بأن كراهية المسلمين ليست مهمة في حد ذاتها بل المهم هو لماذا لا يخافون من الغرب،وعلى

[1] العقيقي،نجيب،المستشرقون،دار المعارف،القاهرة،ط5 ،2006،ج2،ص144
[2] ناجي،م.س ص246
[3] لمزيد من تفاصيل سيرته العلمية يرجى مراجعة ترجمته عند:العقيقي م.س ص ص 143-145

أساس هذه النظرية وضع مخطط غزو كل من أفغانستان والعراق،وهو مخطط لا يستهدف إقناع المسلمين بعدم كراهية الغرب،ولكنه كان يستهدف وبشكل واضح تخويف العالم الإسلامي من الغرب)[1]

انه أسس لقاعدة خطيرة وهي التسليم بأن كل المسلمين يكرهون الغرب،لذا رأى أن يضع هذا الذي زعم انه حقيقة مسلم بها وراء الظهر..وطالب باستخدام القوة مع المسلمين لإذلالهم وتحجيمهم.وكان قد نجح في تسخير الإدارة الأمريكية المحافظة المسحورة به وبطروحاته لتحقيق ما خططت له الصهيونية مرحليا تطلعا إلى تحقيق الأهداف النهائية التي أسست الصهيونية من أجلها.

وبفضل هذا الانهيال التنظيري والمكانة التي دفعته اليها الصهيونية صار في مقدمة الصف الساند لصناعة القرار الأمريكي بوجود إدارة عنيفة تمثلت بكوكبة من الصقور الذين قلما اجتمع عدد منعهم في أية إدارة أمريكية بقدر ما كان عليه عددهم في إدارة (بوش) الابن،وكان منذ ذلك اليوم، (يتغدى أو يتعشى - باستمرار - إما مع ديك تشيني، وإما مع كونداليزا رايس)[2].لا بل كانت الحلقة الأكثر تأثرا به تضم كل من لهم دور في الاندفاع الأمريكي صوب الشرق في عهد (بوش) الابن،إذ(من بين من اعتنق أفكاره:ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي،كارل روف مستشار الرئيس،ريشارد بيرل،رئيس لجنة التخطيط الاستراتيجي في البنتاكون،بول وولفوويتز،نائب وزير الدفاع ،جيمس ووزلي-المدير السابق لوكالة الاستخبارات المركزية وعضو مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات ،وشمعون بيريز وأحمد الجلبي)[3].

لقد كان زعماء هذا التيار يتسابقون في تكريمه واحتضانه،ففي 1 /5 /2006 ألقى (ديك تشيني) نائب الرئيس (بوش) الابن خطابًا يكرِّم فيه (لويس) في (مجلس الشؤون العالمية في فيلادلفيا)؛ حيث ذكر (تشيني) أن (لويس) قد جاء إلي واشنطن ليكون مستشارًا لوزير الدفاع لشئون الشرق الأوسط.

وخارج دائرة الاهتمام الرسمي..فإن (برنارد لويس) يحاضر متسنماً أعلى منابر الفكر في أمريكا سواء في الجامعات الراقية أو مراكز الأبحاث والدراسات المرموقه،وغير ذلك..

**نظرة عامة على مجمل نتاجه**

لاشك عندي في أن (برنارد لويس) اتبع نهج المستشرق الفرنسي الأشهر (لويس ماسنيون) حذو القذّة بالقذّة، فهو بحث في النِحل والطوائف الإسلامية ذات النهج والطبيعة الخاصة،إذ كرس جهوده وهو لما يزل في بداية رحلة الألف ميل بخطوات أولية عن الإسماعيلية التي كانت موضوع

[1] السماك،محمد،دراسة بعنوان(الاستشراق في خدمة السياسة الامريكية)،منشور في جريدة المستقبل اللبنانية،العدد 3726 الجمعة 30 تموز 2010.
[2] الركابي،زين العابدين،مقال بعنوان(الصهيونية: لنحقق أخطر أهدافنا: قبل الانتخابات الرئاسية!!)منشور في جريدة الشرق الأوسط،العدد9286،السبت 1 مايو 2004
[3] الصغير،خليل،دراسة بعنوان(برنارد لويس:بطريرك الاستشراق..ليتذكر المسلمون نعمة الاستعمار)منشور في مجلة مدارات غربية،وهي مجلة فصلية لبنانية،العدد الرابع تشرين الثاني(نوفمبر)/كانون الأول(ديسمبر) 2005 ص.

اطروحته لنيل الدكتوراه من السوربون،والتي كان عنوانها (أصول الاسماعيلية)والتي طبعت ونشرت ككتاب يرى فيه (ناجي) انه(كتاب من المؤلفات الرائدة في هذا الميدان)[1].ووصفه (العقيقي) بأنه(كتاب نفيس يصنف الشيعة إلى شيع معتدلة ومغالية)[2]وتولت جامعة كامبرج نشره سنة 1940 .

لقد انهمك (لويس) لاحقا في قضايا التاريخ الإسلامي يتقصى الزلل ويتقنص الهفوات، فكان من بين أهم نتاجاته في مجال التاريخ الإسلامي،كتيب بعنوان(تاريخ اهتمام الانگليز بالعلوم العربية)1941،و(السياسة والدبلوماسية العربية)لندن 1947،و(أرض السحرة)1948،و(العرب في التاريخ)1950،(ملاحظات ووثائق من المحفوظات التركية)1952،و(التاج الملكي) 1961، و(مؤرخو الشرق الأوسط)شراكة مع آخرين 1962،واسطنبول وحضارة الإمبراطورية العثمانية) 1963،وتاريخ الإسلام)1970،بينما لا يسعنا التطرق إلى أبحاثه هنا لكثرتها.

ومع ذلك فإنه لم يكن يجاهر بعداء واضح وكراهية مشخصة للإسلام،بل كان يكتب باسلوب متوازن حتى عده البعض منصفا،ولنتعرف على بعض مما كان يظهر في كتاباته،يقدمه لنا قارئ متمعن هو (الطاهر لبيب) الذي يقول(يتساءل برنارد لويس عن سر الاختلاف بين المسلمين والمسيحيين في موقفهم من معرفة كل منهما للآخر.وقد أشار إلى أن الإسلام أكثر تسامحا لأسباب دينية وتاريخية وعملية ،كما لم يكن مرده الأخذ عن المسلمين لأن هذه الضرورة انتفت منذ الصليبيين)[3].أما في كتابه الموسوم(تاريخ اهتمام الانكليز بالعلوم العربية)فنجده يبحث عن كل ما هو نير زاهر ليطرز به صفحات ذلك الكتاب،فمثلا نراه يقول(كان العرب هم الواسطة التي انتقل بها إلى أوربا جزء كبير من ذلك الميراث الثمين الذي خلفه اليونان في ميدان الفكر والعلوم،والذي بينما كان مفقودا في الغرب كان العرب قد حافظوا عليه وتوسعوا فيه.وان أوربا تعلمت من العرب طريقة جديدة للبحث وضعت العقل فوق السلطة ونادت بوجوب البحث المستقل والتجربة،وكان لهذين الدرسين الفضل الكبير في القضاء على العصور الوسطى والإيذان بعصر النهضة وبعث أوربا.وإنها لمأساة تاريخية أنه في نفس ذلك الوقت شرع العرب ينسون تلك الأشياء التي علموها لأوربا واضطروا لتعلمها ثانية بعد مضي عدة قرون)[4]

وكان بذلك قد استحوذ على اهتمامات ومشاعر كثيرين من العرب والمسلمين الذين نظروا إلى ظاهر نتاجه دون أن تتاح لهم فرصة الغوص في أعماقه وسبر غوره الحقيقي.

وبعد انتقاله إلى أميركا في سبعينات القرن الفائت،(توجه إلى دراسة الإسلام المعاصر بما له علاقة بالنتائج التي أفرزتها الثورة الإسلامية في إيران)[5]. لا بل انه عندما أعاد طبع كتبه أخذ ينقحها

[1] ناجي،م.س ص246
[2] العقيقي،م.س ص144
[3] لبيب، الطاهر (محرر)صورة الآخر:العربي ناظرا ومنظورا إليه،وهو عبارة عن محاضر الندوة التي عقدتها الجمعية العربية حول (صورة الآخر)في الحمامات بتونس نهاية آذار 1993مركز دراسات الوحدة العربية والجمعية العربية لعلوم الاجتماع،بيروت 1999،بحث(الآخر في الثقافة العربي)الطاهر لبيب،ص197
[4] لويس،برنارد،تاريخ اهتمام الانكليز بالعلوم العربية،كتيب لا يحوي أية معلومات عن النشر سوى:(يحوي ست مقالات نشرت لأول مرة في "المسمع العربي"،الطبعة الثانية ص6
[5] ناجي،م.س ص247

لإزالة كل ما كان يجعله منصفا بنظر البعض،فمثلا (قام بحذف فقرة"وأي فقرة"من مقال قديم سبق وإن نشره،قبل أن يعيد طبعه في الكتاب.والفقرة المحذوفة هي قول لويس"الإسلام من أعظم الديانات.ولأكن صريحا حول ما أعنيه بذلك أنا المؤرخ-غير المسلم-للإسلام،لقد جلب الإسلام الراحة والطمأنينة لملايين لا تحصى من الرجال والنساء.ومنح المعنى والكرامة لمن يحيون حياة الكآبة والحرمان.وعلم المختلفين اجناساً أن يعيشوا جنبا الى جنب،بقدر معقول من التسامح.واستحيا حضارة عظمى عاش فيها الآخرون بجانب المسلمين معيشة خلاقة ومفيدة،ومنجزاتها جعلت العالم أكثر ثراء)[1]

في تلك الحقبة برزت أمور ذات تأثير على مسار التاريخ،منها الاهتمام الغربي بالنفط عقب عمليات التأميم وما رافقها من حظر نفطي فرضه العرب على بعض دول الغرب خلال حرب تشرين 1973،وما تلاها من أحداث في أفغانستان وإيران،ما جعل الغرب يتمسك ببقايا المستشرقين على الرغم من القرار الذي اتخذه المستشرقون بإنهاء عمل الاستشراق وإحالته إلى التقاعد.

لقد ظل البعض منا يظن متوهما أن الاستشراق(خطاب،أو إنشاء)،ولقد تكرم البعض بإضافة اهتمام اكبر عليه عندما حسبه(موضوع معرفة)[2]..ولو أن (ادوارد سعيد) صحح ذلك، عندما قال(أنا نفسي أؤمن أن الاستشراق أكثر قيمة بشكل خاص كعلامة على القوة الأوربية-الأطلسية بإزاء الشرق منه كإنشاء حقيقي عن الشرق)[3].فالاستشراق الذي أعلن عن انتهائه صار وسيلة من وسائل خدمة السياسات العليا واستراتيجيات الدول ذات التأثير في مجرى أحداث العالم،والاهم فيها على الإطلاق الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت بحاجة إلى تعرف حقيقي على الشرق بعد انغماس عميق في فهم ما يدور وراء الأسوار الحديدية التي حبس الكرملين شعوب الاتحاد السوفيتي وشعوب أوربا الشرقية وراءها.

فعندما شد (برنارد لويس) الرحال إلى العالم الجديد،هناك حيث يصاغ القرار العالمي في الولايات المتحدة،وجد فيه رجال الإدارات الأمريكية المتعاقبة،المستشار المنشود والشريك المطلوب لتوليد الأفكار المؤدية إلى صناعة القرار.ما جعل نتاجه في تلك المرحلة وما تلاها ذا علاقة بالأهداف الأمريكية وخاصة في المنطقة العربية تحديدا،ولربما ساعد وساهم في صناعة أهداف جديدة تتضمنها الاستراتيجيات الأمريكية التي عادت ما توضع لعقد من الزمان أو نحو ذلك حتى إن اهتماماته اللاحقة تعدت العالم العربي لتتناول عموم العالم الإسلامي .

لاشك إن ذلك الموقع الذي وجد (برنارد لويس) نفسه فيه منحه خصوصية لم يتح لسواه ان يحظى ببعضها،حتى صار ما يقول(فكرا تتغذّى عليه تيارات وجماعات ودول)[4].أما كيف صار ذلك فكرا ملهما ومغذيا لتلك الجهات،فإننا نضرب مثالا بسيطا يبين مدى تأثيره،فالرجل بفضل تأثيره البحثي صار

[1] السكوت،حمدي،دراسة بعنوان(برنارد لويس:هل كانت دوافعه موضوعية)مجلة العربي العدد 559 يونيو 2005 ص19
[2] يفوت،سالم،حفريات الاستشراق،المركز الثقافي العربي –بيروت 1989،ص8
[3] سعيد،م.س،ص41
[4] الركابي،زين العابدين،مقال بعنوان(وقائع مسيحية ويهودية موثقة..تنقض مقولات هذا الرجل)منشور في جريدة الشرق الأوسط،العدد 10322 السبت 3 آذار 2007

من صناع الاتجاهات الفكرية لمجموعة المحافظين الجدد الأمريكيين. وكانت محاضراته ومساهماته تعد من عناصر فكر تلك الجماعة ،ومن بينها محاضرة ألقاها في منتدى الجماعة بعد أحداث 11 أيلول 2001،صارت من مرجعيات الجماعة ثم أطلقت إلى العامة على شكل كتاب عنوانه(أوربا والإسلام).

لقد ركز في هذا الكتاب المرجعي على إن (العالم الإسلامي يشهد تحولا نوعيا في تاريخه لا يقل أهمية عن سقوط روما واكتشاف أمريكا)[1].

من هنا تكمن خطورة الرجل ومنتجه الثقافي.فهو ليس باحثا محايدا أو متجردا،إنما هو صاحب قضية لها علاقة وطيدة بمجال اختصاصه.فهو يهودي صهيوني يهمه كما يهم أي من بني عقيدته السياسية والدينية إن يحقق الأهداف الأبعد من التي تسعى إسرائيل لتحقيقها وفي مقدمتها الهدف البعيد الرامي الى مد حدودها إلى كل من الفرات شرقا والنيل غربا،وجعل ما بينهما دولة يهودية خالصة لها القدرة على الهيمنة على العالم.

أما كتابه الخطير الآخر (أين يكمن الخطأ)والذي جعل له عنوانا ثانويا شارحا هو(صدام الإسلام والحداثة في الشرق الأوسط)..فلقد تضمن شيئا غير عادي في مقدمة الطبعة الثانية لا يصح أن نهمله،أو أن نمر به من غير تأمل..فإنه قال(حين حدثت الهجمات الإرهابية على نيويورك وواشنطن في 11 أيلول 2001،كانت الطبعة الثانية من هذا الكتاب قيد التدقيق وبالتالي لم أقم بمعالجة هذه الهجمات ولا بمعالجة أسبابها وعقابيلها.لكن الكتاب مرتبط بها،وهو لا يتفحص ماحدث وما تلا،بل ما حدث قبل ذلك –النموذج الأوسع والتعاقب الأطول لأحداث وأفكار ومواقف سبقت تلك الهجمات،وأدت اليها بمعنى من المعاني)[2].

فهو هناك، قالها بصريح العبارة،إنه وفي كتابه هذا نبه الى تلك الهجمات كونه فصّل (ما حدث قبل ذلك)من خلال الأحداث والأفكار والمواقف السابقة للهجمات والتي أدت اليها..وهو أمر يجعل الملتفين به والمعتنقين لآرائه يزدادون تعلقا بها واستمطارا لكثير من التجليات الفكرية التي يمن بها عليهم ..

التأويل اللغوي المغرض

المستشار مؤتمن..فهل كان (برنارد لويس) أمينا في المشورات التي قدمها؟..لقد كانت تلك فرصة للويس لأن يقدم استشارات مفعمة برغباته الرامية إلى تغذية عقول النخبة الأمريكية والأوربية بالعداء للإسلام والكراهية له ناهيك عن عمله الدؤوب لتحقيق أهداف الصهيونية التي يعتنقها ويسعى لخدمتها كما أسلفنا..

فلقد رصد (ادوارد سعيد) اهتمامات مبكرة للويس في شأن لغة السياسة في الإسلام..فعلى الرغم من أن كتاب لويس(لغة السياسة في الإسلام) هو عبارة عن مجموعة (محاضرات نظمتها مؤسسة

[1] ولد أباه،السيد،مقالة بعنوان(برنارد لويس ..وعلمنة الإسلام)منشور في جريدة الشرق الأوسط،العدد 10678 الجمعة 22 شباط 2008.
[2] لويس،برنارد،أين يكمن الخطأ،ترجمة عماد شيحة،دار الرأي للنشر،دمشق 2006،ص11

اكسكسون وجمعية الفكر الاجتماعي في جامعة شيكاغو وألقيت في الفترة ما بين 29 اوكتوبر و4 نوفمبر سنة 1986)[1]..الا أن (ادوارد سعيد) الذي ألّف كتابه الاستشراق سنة 1978 رصد كلمات يركز عليها لويس منها دولة وفتنة وبغاة،ناهيك عن نقاش مستفيض لمفهوم الثورة ويقول سعيد(الا أن لويس لا يصف ما تعنيه ثورة حتى عين النهاية من مقالته،بعد أن يكون قد ناقش تصورات مثل دولة،فتنة،وبغاة في سياقها التاريخي والديني في الغالب)[2].

وكان دؤوبا في تسقط الكلمات،يحاول تأويلها تأويلا مغرضا أو يرجعها إلى كلمات عبرية كما فعل في كلمة أمة التي ردها في الفصل الذي اضطلع بتأليفه ضمن كتاب تراث الإسلام والموسوم(السياسة والحرب)فقال(الكلمة العربية المستعملة للدلالة على الجماعة هي [الأمة]، ولعلها مأخوذة من الكلمة العبرية[عماه]..) وقد رد عليه المترجم في الهامش متهما إياه بالجهل في إدراك إن اللغتين أختان وهما ذواتا جذور مشتركة وقد يكون الأصل إلام،التي تعني الانتماء إلى مولد واحد أو بطن واحد مشترك،ولفظ (العم)العبرية بمعنى الشعب له في العربية ابن عم هو لفظ (عام أو عموم)[3].

ولقد بدا أكثر جرأة في تقديم الزيف عندما راح يؤول اسم العرب،وكيف ان الفضل في إطلاقه على بلاد العرب لا يعود للعرب أنفسهم وإنما للغرب،فهو يسطر(فعلى الرغم من قدم كلمة "عربية"Arabia وقدم شعبها،فإن هذه الكلمة دخيلة دخلت عن طريق العالم الغربي ولم يكن لدى العربي تسمية إقليمية لكلمة Arabia ولكنه أجبر على استخدام هذا التعبير للمنطقة،أو لشبه جزيرة العرب)[4]..وهذا كذب وتزييف متعمد من رجل عالم بأمور العرب أكثر من كثير من العرب أنفسهم،فهل يعقل أنه لم يطلع على كتب البلدانيين العرب مثلا؟..فهذا (ياقوت) المتوفى سنة 626 هـ،أي حتى قبل أن يتعلم الغرب أساسيات العلم يقول في تفسيره لكلمة"عَرَبَة"(هي في الأصل اسم لبلاد العرب)[5] أي إن الاستخدام الجغرافي كان متوفرا وكان ثمة إقليم يعرف بأنه بلاد العرب..والأكثر قدماً نجد بعضه عن (جواد علي) الذي يقول(وقد ورد اسم الملك "شهر غيلن بن أبشم"وكذلك اسم ابنه"بعم""في نص قتبان وسم بـ"REP.EPIG.3552".وقد دوّن هذا النص عند قيام "شرح عث بن عبد بل بن تنزب"وهو معمار كلفه الملك المذكور انشاء "محفد عريم"، أي برج في موضع يسمى"عرب" "عربم".وقد قام بالعمل وأتمه)[6].

ونحن في هذا الحيز البحثي الضيق لا نستطيع إيراد كل ما حاول (لويس) توظيفه من مفردات عربية بطريقة مغرضة ..فهو على الأقل ألف كتاباً بذلك..ولكننا أردنا تسجيل ملاحظة قد تفيد في جعل ورقتنا هذه محيطة باهتمامات وجهود (برنارد لويس) في الإساءة المقصودة إلى العرب والمسلمين.لذا سنأخذ مثالا عشوائيا لتناوله لمفردتين من المفردات التي استخدمها وربط بينهما مع عدم وجود علاقة

[1] لويس،برنارد،لغة السياسة في الإسلام،ترجمة د.إبراهيم شتا،دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث،قبرص،1993،ص5
[2] سعيد،م.س ص312
[3] شاخت وبوزورث(محرران)،تراث الإسلام،ترجمة مجموعة من المترجمين،سلسلة عالم المعرفة- الكويت ط1988،2،ج1،ص231
[4] لويس،برنارد،اكتشاف المسلمين لأوربا،ترجمة ماهر عبد القادر،المكتبة الاكاديمية،القاهرة،1996 ص70
[5] ياقوت،شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(ت سنة 626 هـ)معجم البلدان،دار صادر ودار بيروت،بيروت 1979 ج4،ص 96
[6] علي،جواد،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،طبع بمساعدة جامعة بغداد،ط2 1993،ج2 ص188

بين المفردتين،وكيف انه تابعهما وماذا استنتج منها ليصار إلى إيجاد فكرة عن كيفية تصرفه بالمفردات وكيف يقدمها للغرب..والمفردتان اللتان انتقيناهما هما (الشوكة والحضرة). يقول (برنارد لويس):

(من بين المصطلحات العديدة المستخدمة بمعنى القوة أو السلطة هناك اثنان يتمتعان بأهمية خاصة مأخوذان من الطرف الآخر من ألوان الطيف في الإدراك السياسي،الأول:الشوكة من الشوك وتعني القوة وتستخدم أكثر للتعبير عن القوة العسكرية الجسدية بصرف النظر عن أية مساءلة عن الشرعية أو الركيزة القانونية أو التصديق الديني،ولقد استخدمت غالبا-وكمثال عن الغزالي- عند مناقشة الفرق بين القوة العمياء والوحشية وبين الشرعية الدينية،وفي العصور العثمانية خضع المصطلح لتغير أساسي بحيث أصبح يؤدي معاني أكثر ايجابية مترابطة وبخاصة مع كلمات من قبيل "الإجلال"و"الإقبال"بحيث نعبر عن العظمة الإمبراطورية والجلالة عند السلطان،وهناك عدد آخر من الكلمات المركبة مع كلمة"شوكة"[بالتركية شوكت Sevket ]تتجلى بشكل واضح في ألقاب السلطان لتشكل شيئا شبيها بالإمبراطوري أو الـ Majestic أو الـ August .

وإذا كانت الشوكة تصور القوة والوحشية،فهناك مصطلح آخر هو "الحضرة" يصور العنصر المكاني المقدس،وفي معنى من معانيه الصوفي،وهو ذو معنى حرفي من الحضور،من فعل "حضر" وكان مستخدما بوجه عام قبيل العصور الوسطى المتأخرة.ويبدو انه كان يشير في البداية الى الحضور الجسدي أو القرب من السلطان الذي كان في ذلك الوقت منعزلا عن جمهور الناس بجيش من الحجاب والحراس وأعضاء الحاشية،وفي نفس لوقت كانت الكلمة تستخدم للتقديس عند الحديث،ولاشك إنها استمدت قوة إضافية من استخدامها المعاصر في لغة الصوفية الذين يتحدثون مستخدمين نفس المصطلح للتعبير عن الحضور مع الله أو القرب الشديد منه. وتستخدم الحضرة أيضا بالنسبة للأماكن المقدسة،وبخاصة القبر النبوي في المدينة الذي منع فيه الدخول العام بحرس الحرم المقدس)[1].

ونحن هنا لا نركز على التعمق والتفصيل الذي كان طابع بحثه في المصطلحات،ولكن لابد من الإشارة الى انه قدم هذا الكلام الى الغرب الذي لا يعرف عن الفكر الإسلامي واللغة العربية إلا ما يطرحه (لويس) وأمثاله،فكيف سيتلقى الغربي مصطلح الشوكة التي خلق لها (لويس) مؤدى دموياً لا أخلاقياً،يجعلها مرجعاً له فيما بعد عندما يريد أن يتكلم عن جذور إرهابية في الفكر الإسلامي...خصوصا وان هذه المفردة وردت في القرآن الكريم مرة واحدة فقط (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم)[2].فهو بالنتيجة يحاول ويتمكن من توصيل فكرة وجود جذر إرهابي في القرآن الكريم وهذه مجرد مفردة يضاف إليها الكثير مما تناول مثل (ترهبون به عدو الله وعدوكم)[3] وغيرها.

[1] لويس ،لغة السياسة في الإسلام،م.س، ص63
[2] الأنفال:7
[3] الانفال:60

إن تعامل (لويس) مع المفردات المنتقاة بعناية وخاصة ذات الحضور القرآني،ليس قاصرا على أبحاثه اللغوية التي أراد من ورائها تشويه الإسلام،بل إن أسلوبه في اختيار مادة أبحاثه هو(ممارسة التنميط والتعميم في حق العرب والمسلمين.فهو ينتقي مواده بشكل يصعب على النقاد محاججته أو التشكيك بصحتها.وهو يستشهد إضافة الى آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول "صلى الله عليه وعلى آله وسلم"بوقائع تاريخية قديمة وحديثة،تنتمي الى حقبة معينة وتتصل بفئة أو مجموعة أو مجتمع إسلامي بعينه،ثم يقوم بتحليلها وإسقاط نتائج ذلك ومدلولاته،بشكل تعميمي سافر،على العرب/المسلمين جميعا وعلى امتداد تاريخهم،أو على حقبة كاملة منه)[1]ولعل ذلك ما يفسر تفرغه طويلا لدراسة الفرق الباطنية في الإسلام،والطوائف ذات النهج الخاص والذي ليس بالضرورة يتماشى مع روح ونصوص القرآن.

ثم إن هنالك عدا عما تنطوي عليه الحركات الباطنية والمذاهب المتطرفة،كم هائل من الترهات التي يحفل بها تراثنا والتي صارت مادة دسمة للويس ولسواه من الباحثين الكارهين للإسلام،ولعل فرية"الغرانيق العلى"ليست غير واحدة مما كتبه المغرضون والمشوهون لتاريخنا وتراثنا..ما جعل المستشرقين يعثرون على كنز يسيؤون من خلاله الى شخص نبينا الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وسلم[2].

ونستطيع هنا أن ندلل على تشبث (برنارد لويس) بالغاطس من تراثنا ومحاولة تسخيره لأغراضه المؤدلجة، بمثال مقتبس من دراسة نشرها احمد عرفات القاضي يصف فيها (برنارد لويس) بأنه يكرر الأفكار والموضوعات،(فمعظم كتبه عبارة عن مقالة أو بحث صغير أو محاضرة نشرت في أول الأمر ثم يظهر بعد ذلك في كتاب)ثم يقول،وهو (يبدأ حديثه عن الموضوع ببحث اهتمام الإسلام بالغرب،ويرى ان كتبا قليلة ظهرت حول هذا الموضوع بالرجوع لكتب الفهارس فيذكر (حاجي خليفة) الموسوعي الببليوغرافي في كتاب له تحت عنوان"إرشاد الحيارى إلى تاريخ اليونان والروم والنصارى"والذي كتبه سنة 1655 ويقول فيه:إن مصير هؤلاء البؤساء مصيرهم المحتوم في جهنم،والذين يعدون في نفس الوقت مبغوضين،كم إنهم وفي حقيقة الأمر من وجهة نظر دينية يعدون مصدر خطر حقيقي باعتبارهم تحولوا كجزء من أهل دار السلام لدار الحرب،وأصبح من الضروري معرفة أخبارهم)[3]

جذور صراع الحضارات

عد (سالم حميش)،المستشرق(برنارد لويس) واحد من المستشرقين الأكثر عداوة للإسلام.مشركا معه في ذلك العداء كلا من (أربري) و(شاخت) و(جب)[4]. ولعل تلك العداوة هي التي دفعت هذا الرهط

[1] الصغير،م.س.ص

[2] لهذا السبب بالذات عمدنا الى تأليف كتاب عنوانه(غرانيق في سماء الاستشراق)كان لنا شرف الرد على مروجي تلك الفرية من كبار المستشرقين،والكتاب صدر عن مؤسسة النبأ للثقافة والإعلام..2006.

[3] القاضي،أحمد عرفات،دراسة بعنوان(الاستشراق والاستغراب..عرض ومناقشة مقالات برنارد لويس)منشور في صحيفة الحياة 2010/9/7

[4] حميش،سالم،الاستشراق في أفق انسداده،المجلس القومي للثقافة العربية،الرباط 1991 ص95

الـــذي يضـــيف اليـــه (محمـــد نجيـــب بـــو طالـــب) كـــلا مـــن (رينـــان) و(كولدســـيهر) و(ماكدونالد)،و(غرونباوم)،متوصلا إلى أن أفراد هذا الرهط (درسوا موضوعاتهم في معزل عن الشروط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المحيطة)[1].

و (لويس) يصطف مع فريق من المستشرقين الذين يرون الإسلام(تركيبا ثقافيا موحدا)[2]..وهو يشير إلى أن هذا النص يعود إلى (بي.أم.هولت)[3]،ولعل هذا التشخيص هو حجر الأساس لصراع الحضارات الذي كان (برنارد لويس) هو الساعي إليه والموحي به وإن كان المعروف إن المؤسس له هو (صموئيل هنتكتون).

فالرجل لا يتورع عن الزج بالإسلام في كل مفصل من مفاصل الإشكاليات القائمة،وإلا فلم يكن الإسلام كفكر ملحوظاً ومشخصاً في سياق القضية الفلسطينية التي صار عمرها الآن 120 سنة،ما دعا (إدوارد سعيد)الى مؤاخذة (لويس) على خلاصة قراءته لواقع المقاومة الفلسطينية والتي تجمل بأنه(إذا قاوم الفلسطينيون الاستيطان الإسرائيلي واحتلال إسرائيل لأراضيهم فإن ذلك لا يمثل إلا عودة الإسلام)..ويرصد (سعيد) رأيا أسسه مستشرق لاحق قال فيه(مقاومة إسلامية لشعوب لا إسلامية)[4]. فالمقاومة الفلسطينية منذ بواكيرها كانت علمانية وليس للإسلام دور متقدم فيها الا مؤخرا..لا بل إن أمريكا هي التي ساعدت على أسلمة القضية الفلسطينية بعدما ولّدت إسلاما سلفيا متطرفا جهاديا في افغانستان ليساعدها في إجبار الاتحاد السوفيتي على الرحيل من ذلك البلد المسلم،الأمر الذي جعل تلك الحركة التي استقطبت أموال وشباب دول اسلامية كثيرة للمشاركة في الجهاد المؤدلج هناك،وكانت النتيجة تفريخ حركات قوية تمارس العنف المحسوب ظلما على الإسلام..ولاحقا وبعد ان أتقن الشبان المتأفغنون[5] أساليب القتال، عاد بعضهم إلى بلدانهم فوجدوا حواضن لفكرهم في دول عربية كثيرة خاصة مصر التي شهدت بواكير محدودة لهذا الاتجاه والذي كان رجاله من قتل الرئيس (السادات).

لقد نجم التهويل الذي صنعه (لويس) عن الإسلام الى خلق بيئة بحثية مفعمة بالكراهية هادفة الى أمرين خطرين ربما حققتا الكثير من أهداف المراحل الأولية المرسومة لها،وهي:

الأول:إيجاد جو من الرعب يعيشه المواطن الغربي خوفا من الإسلام،وهو الأمر الذي تحقق الى حد كبير وفق ما عرف بالإسلام فوبيا..وهو الذي دفع الى مطالب جماهيرية ضاغطة للحد من حرية المسلمين في بلاد الغرب حتى بات الامر ممارسة عنصرية واضحة وملموسة.

الثاني:التأسيس الاستراتيجي لمواجهة عسكرية مع عدو لا وجود له ومن هنا ظهرت نظريات مؤسسة صارت مرجعيات فكرية منها نظرية صراع الحضارات التي احتواها كتاب بهذا الاسم لأحد متلقي ايحاءات (برنارد لويس) هو (صموئيل هنتكتون)كما عرجنا على ذلك في موضع سالف من

[1] الطاهر لبيب،م.س.البحث الموسوم(العلوم الاجتماعية والاستشراق:صورة المجتمع العربي الإسلامي)لمحمد نجيب بو طالب ص445
[2] سعيد،م.س.ص 128
[3] ن.م.،ص128
[4] سعيد،م.س،ص130
[5] نقصد بهم الشبان العرب وغيرهم الذين ذهبوا الى افغانستان وعاشوا وقاتلوا فيها.

البحث،وما أعقبه من نظرية أخرى وضعها تلميذ (هنتكتون)،(فرانسيس فوكوياما) وضمنها كتاب عنوانه،(نهاية التاريخ والإنسان الأخير).والاهم هو قلب عقيدة منظمة حلف شمال الأطلسي(ناتو)الذي شطب الغرب على فكرة إلغائه بعد انتفاء الحاجة إليه عقب انهيار الخصم الشيوعي،وصيغت له عقيدة عسكرية جديدة ذات طابع تعرضي هجومي هذه المرة بعد أن غاب خطر الهجوم على أوربا.وكان العدو الذي انتشرت سهام التأشير على الفسحة التي يشغلها في الخارطة هو الجنوب،أي العرب والذين هم الطليعة المتقدة للعالم الإسلامي..وكان الهجوم الذي كان حلف الأطلسي فاعلا فيه على أفغانستان وليبيا فيما بعد،تطبيقا عمليا للعقيدة العسكرية الجديدة للناتو.بينما كانت بقية الدول الإسلامية على قائمة الأعداء.

فالمفهوم الاستراتيجي الحالي للناتو كان قد رسم قوسين من الأزمات الخارجية(أحدهما القوس الجنوبي،الذي يشمل الدول العربية الواقعة في شمال أفريقيا وحوض المتوسط،بما في ذلك مصر والسودان والأردن،والثاني هو قوس الأزمات الشرقي الذي يضم الدول الإسلامية غير العربية،في آسيا وإيران وباكستان وأفغانستان)[1].كل هذا ولم يقدم أي باحث عربي على تقديم أطروحة(حول توسعة حلف الناتو)[2] ولا عن قضايا أخرى تستهدفنا كعرب وكمسلمين كما يذكر خالد الحروب.

ولم يكن ذاك الشحن العنصري الظاهر بوضوح طاغ عند (هنتكتون) قد تولد صدفة،إنما كان كما أسلفنا بفضل وحي (برنارد لويس) عرّاب المحافظين الجدد الذين كان (هنتكتون) من بين منظريهم، بل في مقدمتهم،لذا حتى ولو عدمنا إشارة مصدرية لتوثيق تلك العلاقة وذلك الإيحاء، فإن العقل والمنطق يدلل عليهما ويشير إلى وجودهما.فلويس السباق في مجال بدعة صراع الحضارات، إذ يرى ان هذا الصراع(يختزل العلاقة الإسلامية-المسيحية إلى صراع بلغ حتى الان نحو أربعة عشر قرنا "بدأ من ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي واستمر تقريبا حتى اليوم،وتألف من سلسلة طويلة من الهجوم والهجوم المضاد،والجهاد والحروب الصليبية، والفتح وإعادة الفتح"..)[3].

ولكي لا يبقى تغيير العقيدة العسكرية للناتو ناقصا للقيمة أو فاقدا للأهمية وقليل التأثير،فإن الإدارة الأمريكية المتطرفة التي يقودها المحافظون الجدد بقيادة رئيس يتلقى الأوامر من طاقمه ويردده هو (بوش) الابن،ابتدعت فكرة الخير والشر،التي كانت بإيحاء من (لويس) والتي جعلها (هنتكتون) نهجا أمريكا عاما بقوله(الأميركيون يريدون تحديد قوى الخير وقوى الشر في أي صراع ويتحالفون مع الأول)[4] فهو لم يشر إلى الإدارة الأمريكية صاحبة النهج،بل جعل الأمريكيون الذين هم

[1] مجموعة باحثين،حلف شمال الاطلسي:آفاق وتطورات،بيت الحكمة،بغداد،2001،ص23
[2] الحروب،خالد،دراسة بعنوان(العرب بين الاستشراق والاستغراب)صحيفة الاتحاد الإماراتية،الاثنين 10 أوكتوبر 2007
[3] السكوت،م.ن.ص ص17-18
[4] هنتكتون،صاموئيل،صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي،ترجمة:مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود محمد خلف،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان،مصراته،ليبيا،1999،ص488

شعب الولايات المتحدة هم أصحاب المبادرة..وانه رأى في الأمر نقطة ايجابية،دون أن ينتبه الى أن الإدارة المتطرفة تزج أمريكا هنا في الصراعات زجا..دون أن تهتم بأمر المعالجات الحوارية والسلمية.

ولعل (زين العابدين الركابي) في دراسة مقتضبة نشرها في جريدة (الشرق الأوسط)، وضع الإصبع على مكمن الحقيقة عندما كتب في سنة 2004 يقول( ومنذ سنوات سبع قدم اليهودي الصهيوني الشهير برنارد لويس دراسة هذا ملخصها: إن الشعوب العربية الإسلامية قد اعتادت الاستعمار «!!» ولا تستطيع الاستغناء عنه. والدليل أنه حين انحسر هذا الاستعمار في الماضي، واجهت الأنظمة العربية مشكلة غياب القوى الاستعمارية المتحضرة التي كانت توجه مصيرها والنتيجة أن المنطقة العربية ما زالت تستجدي وتطالب بتدخل القوى الأجنبية لحل مشكلاتها كافة. ومن الوهم: تصور إن برنارد لويس مجرد منظر تجريدي، يقول كلمته ويمضي. ذلك ان هذا [الكاره الكامل] للاسلام والمسلمين، والعرب فهو في لقاءاته مع فريق المحافظين الجدد دائم الطرح والتركيز على فكرتين يلقنهما لجلسائه تلقينا، ويؤصلهما لهم تأصيلا.. الفكرة الأولى هي: إن الإرهاب كامن في صميم عقيدة المسلمين.. أما الفكرة الثانية فهي: أن العرب والمسلمين لا يفهمون إلا لغة القوة، ولا يستجيبون إلا لها)[1].

ولقد رأينا كيف انه يعود دائما إلى مفردات منتقاة خاصة ما لها امتداد قرآني ليقحم في عقول تابعيه أفكارا يولدها ويزعم صحتها حتى وان انحسر تداول تلك المفردات وربما غابت عن ساحة التداول اللفظي والكتابي..وأوردنا في هذا الشأن مثالا تمثل في مفردة اخترناها عشوائيا هي (الشوكة)وغيرها كثير.

كل هذا الكم من الكراهية والتحريف،والتعبئة الجائرة على أعلى المستويات التي حققها (برنارد لويس)،إلا أن بعض مثقفينا مازال ينتقي المفردات الأكثر تهذيبا وأناقة وهو يتحدث عن أفكار وخطط ومشاريع وانجازات (لويس)،فمثلا،يقول (حمدي السكوت) في دراسة له يتساءل فيها عن موضوعية دوافع (برنارد لويس)ويقول(إن التحليل"المشوه"الذي قدمه لويس في كتبه ومقالاته واجتماعاته،كان في الواقع بمنزلة عملية"استشهاد"علمي-ولا أقول"إنتحارا"-لخدمة هدف كبير)[2].

العزف على وتر الإرهاب

كما مر بنا فإن (لويس) من بين باحثين كثر حاولوا جاهدين التركيز على إسلامية وعروبة الإرهاب،فعلى الرغم إن مصطلح الإرهاب قيد التداول المؤسساتي الدولي منذ ثلاثينات القرن المنصرم،وولد الاهتمام به أفكاراً بحثية ومحاولات لإيجاد تعريف دولي له قائم منذ ذلك الوقت الذي شهد جريمة إرهابية لا علاقة للإسلام ولا للعرب فيها هي إغتيال ملك الصرب على الأراضي

[1] الركابي،زين العابدين،مقال بعنوان(الصهيونية: لنحقق أخطر أهدافنا: قبل الانتخابات الرئاسية!!)منشور في جريدة الشرق الأوسط، العدد9286،السبت 1 مايو 2004

[2] السكوت،م.س. ص16

الفرنسية(ما دفع فرنسا للتشبث من أجل إقرار دولي لمكافحة الإرهاب)[1] ومنذ ذلك الزمن والعالم يتخبط بشأن إيجاد تعريف للإرهاب يقر دوليا.

ولا شك ولا ريب فإن الإرهاب الأعظم الذي شهده العالم وتأذى منه هو الإرهاب الصهيوني بدأ من الأعمال التي نفذها الصهاينة ضد الا نكليز كتفجير فندق الملك داود في تموز 1946، وهو عمل قامت به منظمة أرجون الصهيونية وما أعقبه من أعمال خدشت الضمير الإنساني منها مقتل الوسيط الاممي الكونت (برنادوت) في أيلول 1948 الذي اضطلعت به منظمة (شتيرن) الصهيونية..وثم أعمال القتل الرهيب التي مورست في قرى فلسطينية وهزت مشاعر العالم كقرية دير ياسين وكفر قاسم وغيرها،حتى بات الإرهاب الصهيوني إرهاب دولة لا ينكر نسبته اليها منصف..

كل ذلك حصل ولم يكن هناك أي عمل عربي أو إسلامي يندرج تحت طائلة الإرهاب، خصوصا إذا أخذنا بنظر الاعتبار إن الجذور الإرهاب الصهيوني الذي مورس قي فلسطين وخارجها ذو دينية صرفة، يجدها الباحث عنها جلية مكشوفة في سفر (يشوع) وهو من الأسفار المعتبره في العهد القديم،فهو يأمر من يأتمر باوامره أن يمارس كل أنواع الإرهاب ضد خصومه ومنها القتل الذي لا يتوقف عند ذبح النساء والأطفال..بل قتل حتى الحيوانات،فهل عند المسلمين أو العرب نصا بهذه الدموية البشعة؟.

كل ذلك زال من مخيلة السياسيين والباحثين المعاصرين بتأثير التغذية الفكرية التي اضطلع بها (برنارد لويس) وفئة محدودة من الباحثين الذين تتلمذوا على يديه حتى(إن الكثير من صانعي القرار الغربيين يعتقدون إن الإرهاب يجد منبعه حصرا في المنطقة العربية بسبب تردد هذه المنطقة في اعتماد المبادئ الديمقراطية المعاصرة ومبادئ اقتصاد السوق)[2].

وحتى يجعل كل ما قاله حقائق ثابتة فإنه يريد ترسيخ ذلك في عقول القادة والمواطنين في دول الغرب،إذ يعزف على الوتر ذاته في كتاب آخر،وتبرع بمشورة هي الأخطر على الإطلاق، عندما خلص الى أنه(إذا واصلت شعوب الشرق الأوسط دربها الحالي،فيمكن أن يصبح الانتحاريون رمزا للمنطقة كلها،ولن يكون هناك مفر من دوامة الكراهية والضغائن،الحقد ورثاء الذات،الفقر والقمع،تصل ذروتها عاجلا أو آجلا،بل وحتى من هيمنة أجنبية لاحقا)ويرى في هذا خيارا،بينما يضع الخيار الثاني تحت المجهر بإزاء الأول فيقول(وإذا استطاعت هذه الشعوب التخلي عن التشكي وعقدة الضحية،وتسوية اختلافاتها ودمج مواهبها وطاقاتها ومواردها في مسعى خلاق مشترك،فسوف تتمكن ثانية من أن تجعل الشرق الأوسط،في العصور الحديثة كما كان في العصور القديمة والوسطى،مركزا أساسيا للحضارة،وفي الوقت الراهن فالخيار خيارها)[3]..وهنا تكمن الخطورة،فهي إما أن تنتج الإنتحاريين،وإما أن تستعيد مجدا غابرا،وكلا الخيارين خطر على الحضارة الغربية،فهو تحذير مبطن..

[1] عيسى،حسن عبيد،دراسة بعنوان(إشكالية تعريف الإرهاب)مجلة المستقبل،مركز المستقبل للدراسات والبحوث،بغداد العدد 3 صيف 2006 ص192

[2] قرم،جورج،دراسة بعنوان(صدام الحضارات والذاكرة التاريخية)مجلة العربي الكويتية،العدد 574،سبتمر 2006 ص29

[3] لويس،أين يكمن الخطأ؟ ص ص 140-141

وكانت آراؤه تتوضح بالتدريج،فهو كما يعرف عنه لم يكن عدائيا في بادئ أمره..ولكنه بدأ يجاهر بالعداء للعرب والمسلمين منذ احتضنته المؤسسات الفكرية الأمريكية وزادت نبرته حدة حتى وصل الى تكامل طروحاته بتغذية مصادر القرار الغربي وخاصة الامريكي بقول اقتنصه (الدكتور حسن البراري) من مقابلة مع (لويس) اجريت يوم 20 أيار/مايو 2005 قال فيها(إن العرب والمسلمين قوم فاسدون مفسدون فوضويون،لا يمكن تحضرهم،وإذا تركوا لأنفسهم فيسفاجئون العالم المتحضر بموجات بشرية إرهابية تدمر الحضارات،وتقوض المجتمعات،ولذلك فإن الحل السليم هو للتعامل معهم هو إعادة احتلالهم واستعمارهم،وتدمير ثقافتهم الدينية وتطبيقاتها الاجتماعية،وفي حال قيام أمريكا بهذا الدور فإن عليها أن تستفيد من التجربة البريطانية والفرنسية في استعمار المنطقة،ولتجنب الاخطاء والمواقف السلبية التي اقترفتها الدولتان،إنه من الضروري إعادة تقسيم الاقطار العربية والاسلامية الى وحدات عشائرية وطائفية،ولاداعي لمراعاة خواطرهم أو التأثر بإنفعالاتهم وردود الافعال عندهم،ويجب ان يكون شعار أمريكا في ذلك،إما أن نضعهم تحت سيادتنا،وإما ندعهم يدمروا حضارتنا،ولا مانع عند اعادة إحتلالهم أن تكون مهمتنا المعلنة هي تدريب شعوب المنطقة على الحياة الديمقراطية،وخلال هذا الاستعمار الجديد لامانع من أن تقوم أمريكا بالضغط على قيادتهم الاسلامية – دون مجاملة ولا لين ولا هوادة-ليخلصوا شعوبهم من المعتقدات الاسلامية الفاسدة، لذلك يجب تضييق الخناق على هذه الشعوب ومحاصرتها،واستثمار التناقضات العرقية والعصبيات القبلية والطائفية فيها،قبل أن تغزو أمريكا وأوربا لتدمر الحضارة فيها)[1].

ولا أرى أن (لويس) الذي درس (ادوارد سعيد) دراسة مستفيضة،إلا أنه أراد أن يحذر الغرب تحذيرا مبطنا من المشروع العربي،الذي قال عنه (ادوارد سعيد) في حوار صحفي سنة 2003(نحن نعيش في فترة زمنية صعبة جدا،وهناك تهديد للمشروع الحضاري العربي،وللأسف يساهم العرب في هذا التهديد،ويوجد نوع من الانتحارية العربية التي تنعكس في السياسة العربية وهي لا تؤدي إلى مستقبل إيجابي،ويوجد تغييب في المفاهيم العربية)[2].

الوفاء للجذر والعقيدة

لقد كان الجذر اليهودي للويس فاعلا في عموم انجازاته الفكرية..وإذا ما كان الرجل وهو في انكلترا مكتفيا بالهوية الدينية اليهودية..فإنه صار يتباهى بعقيدته الصهيونية وهو في بلاد التأثير الصهيوني الأقوى،عقب استقراره في الولايات المتحدة الأميركية..لذا كانت مواقفه صهيونية بكل معنى الكلمة..لا بل كان أكثر تشددا من حكام تل أبيب ولعل انتقاده محاولات الحل السلمي وانتقاده المرير للانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان الذي وصفه في حينه بأنه عمل متسرع ولا مبرر له ليست كل الأدلة على لك.

[1] البراري،حسن،دراسة بعنوان(هل تتحقق نبوءة برنارد لويس بتفتيت العالم العربي والإسلامي)نشرت في (الاقتصادية)العدد 6360 الصادر بتاريخ 2011/3/11..ونفس الكلام استشهد به السيد علي علي في دراسة نشرها في صحيفة المستشار الصادرة بتايخ 2013/2/18 عنوانها ضمن دراسة عنوانها(وثيقة برنارد لويس لخدمة المشروع الصهيوني- الامريكي.

[2] تركماني،عبد الله،دراسة بعنوان(حاضر بحضور وعيه:إدوارد سعيد..المثقف الكوني والهوية المركبة)،جريدة الحياة 2007/7/17

فهو يصور إسرائيل للغربيين كخط أمامي للحضارة الغربية وهي تقف أمام الحقد الإسلامي الزاحف نحو الغرب (أوربا وأمريكا) ولذلك فان على الغرب أن يقف في وجه هذا الخطر دون تلكؤ أو قصور ولا داعي لاعتبارات الرأي العام العالمي.

أما عندما دعت أمريكا عام 2007 إلي مؤتمر انابوليس للسلام كتب (لويس) في صحيفة " وول ستريت " يقول :يجب إلا ننظر الي هذا المؤتمر ونتائجه إلا باعتباره مجرد تكتيك موقوت غايته تعزيز التحالف ضد الخطر الإيراني وتسهيل تفكيك الدول العربية والإسلامية ودفع الأتراك والأكراد والعرب والفلسطينيين والإيرانيين ليقاتل بعضهم بعضا كما فعلت أمريكا مع الهنود الحمر من قبل .

انه بذلك ينقل الأهداف الصهيونية إلى مصدر القرار الأمريكي ليجعل منها استراتيجية أمريكية دائمة الاهتمام مضمونة النتائج ل تكلف الصهاينة شيئا سوى المتابعة والتغذية بغية المحافظة على فعل التأجج.

مخطط التفتيت

ولابد لنا من التعريج على المخطط الأكبر والأخطر الذي اضطلع (برنارد لويس) برسمه بعناية فائقة جمع من اجل تحقيقها كل مهاراته وخبراته التي حازها على مدى عمر لم يحظ باحث سواه على مثله..خصوصا وإن التفتيت هدف لم يتكتم عليه أو يخفي النية في تحقيقه.

انه وعلى وفق العقيدة الصهيونية يرى إن الحدود النهائية لدولة إسرائيل هي تلك المحصورة بين الفرات والنيل..وان ذلك هدف دونه خرط القتاد..فإسرائيل وعلى مدى خمس وستين عاما لم تحصل إلا على الحدود الكاملة لفلسطين مضافا إليها المرتفعات السورية،ما يعني إن عليها أن تصبر قرنا آخر أو أكثر لتحقيق بقية طموحاتها في بلوغ ضفتي النهرين العظيمين..ناهيك عن الخسائر المادية والبشرية التي ستمنى بها في كل محاولة تنتزع خلالها شيئا من الارض.

لذا كان دور (برنارد لويس) الاخطر على العموم،إنه الدور التفتيتي الرامي الى انهاء أية مقاومة عربية في الدول المحيطة باسرائيل ما يسهل على اسرائيل نقل حدودها ونصبها على الضفتين الاهم في العالمKباقل قدر ممكن من الخسائر دفعة واحدة أو على شكل مراحل.

لقد درس (برنارد لويس) اتفاقية سياكس بيكو التي ظهرت الى الوجود مع رؤيته للنور في مطلع القرن الماضي..ووجد ان دورها انتهى لذا عليه أن يخلق ظرفا اكثر ضعفا من الذي نجمت عنه الاتفاقية التي سهلت ولادة الكيان السياسي الصهيوني المسمى"إسرائيل".

فالمهمة الان خلق ظرفا اكثر سهولة ويسر من أجل تحقيق الاهداف والطموحات النهائية ولربما حلم (لويس) بأن يرى ثمار جهوده يانعة قبل ان يغادر هذه الحياة.ولعل فيما كتبه على موقعه في الانترنيت-مفكر عربي مسلم من ذوي الخبرة والدراية هو د.محمد عمارة الذي كان في وقت ما مأخوذا (ببرنارد لويس)وطروحته، عادا اياه من المنصفين..درسا وعبرة وفيض علم نيّر.

فعمارة الذي يبدأ حديثه بما حصل في العراق عقب الاحتلال الامريكي،من شحن طائفي كاد يبلغ حدود الحرب الاهلية،تطرق الى قرار للكونجرس اتخذه يوم 29 أيلول 2007 والقاضي بتقسيم العراق الى ثلاث دول:كردية في الشمال وسنية في الغرب وشيعية في الوسط والجنوب.

ثم يدخل صلب الموضوع كاشفا عن دور (لويس) في تنفيذ المخطط الصهيوني الذي بدأ بتأسيس كيان سياسي في فلسطين ولا يقف قبل توسيع حدز هذا الكيان ليكون إسرائيل الكبرى بحدود راسخة ومؤمنة ومطمئِنة ترتكز على النهرين الكبيرين فيقول(مع إقامة الامبريالية الغربية للكيان الصهيوني على أرض فلسطين سنة 1948،نشر المستشرق"برنارد لويس"-الانكليزي الأصل..الأمريكي الجنسية-دراسة في مجلة وزارة الدفاع الأمريكية -البنتاجون- يقترح فيها إعادة وزيادة تفتيت العالم الإسلامي –من باكستان الى المغرب-وإنشاء أكثر من ثلاثين كيانا سياسيا جديدا – علاوة على الدول الست والخمسين التي تتوزع عليها خارطة عالم الاسلام-أي تحويل العالم الاسلامي الى "فسيفساء ورقية" تقوم فيها 88 دولة بدلا من 56..بما يعنيه هذا التقسيم المقترح من شقاقات وصراعات وحروب وآلام،تزيد هذه الكيانات ضعفا فوق ضعفها،وهزالا فوق هزالها،الامر الذي يجعل بأس هذه الكيانات بينها شديدا،ومن ثم كون رحيمة على أعدائها الحقيقيين!..ولقد كان برنارد لويس صريحا عندما قال:إن هذا التفتيت للعالم الإسلامي هو الضمان الحقيقي لأمن إسرائيل الي ستكون الأقوى وسط هذه الفسيفساء).

أما الاستحداثات التي يراها (لويس على الخارطة الإسلامية من دول يريد إنشاءها على وفق مخططه التفتيتي،فإن (عمارة) الذي يركن في توضيحها الى مجلة البنتاكون فيبينها على الشكل التالي:

1- ضم إقليم بلوشستان الى مناطق البلوش- المجاورة لإيران- وإقامة دولة بلوشستان.

2-ضم الاقليم الشمالي الغربي من باكستان الى مناطق البوشتنيين في أفغانستان –وإقامة دولة بوشونستان.

3-ضم المناطق الكردية في ايران وتركيا والعراق وإقامة دولة كردستان

4-تقسيم ايران الى ربع دويلات:إيرانستان،وأذربيجان،وتركمانستان وعربستان.

5- تقسيم العراق الى ثلاث دويلات كردية وسنية وشيعية.

6-تقسيم سوريا الى ثلاث دول:درزية وعلوية وسنية.

7-تقسيم الأردن الى كيانين:بدوي وفلسطيني.

8-تقسيم السعودية الى كيانات قبلية تعيدها الى حالها قبل وحدتها سنة 1933م.

9-تقسيم لبنان الى خمس دويلات:مسيحية وشيعية ودرزية وسنية وعلوية.

10-تقسيم مصر الى دويلتين على الأقل إسلامية وقبطية.

**11-تقسيم السودان الى دولتين زنجية في الجنوب وعربية في الشمال.**

**12-تقسيم العرب بين العرب والبربر.**

**13-إعادة النظر في الكيان الموريتاني في ضوء المتناقضات بين العرب والزنوج والمولدين.**

**ونجد عند السيد (علي علي) أن هذا المخطط الذي أجرى عليه تعديلات على وفق رؤية المصادر التي اعتمدها والتي سنشير إليها أن (الكونجرس الامريكي وافق على هذا المخطط بالإجماع بجلسة سرية وذلك في سنة 1983.مما يعني انه تم اعتماده وإدراجه في ملفات السياسة الأمريكية الإستراتيجية لسنوات مقبلة)[1].**

**أما الاختلافات التي وجدناها بين ما ذكره (د. محمد عمارة) والسيد (علي علي) فأهمها:**

**1-تفكيك ليبيا والجزائر والمغرب بهدف اقامة دولة البربر ودويلة البوليساريو والباقي دويلات في كل من المغرب والجزائر وتونس وليبيا.**

**2-الغاء الكويت وقطر والبحرين وسلطنة عمان واليمن والامارات العربية .**

**3- استحداث دولة الاحساء الشيعية التي ستشمل الكويت والامارات وقطر وعمان والبحرين.**

**أهم مؤلفاته**

- **"العرب في التاريخ(*The Arabs in History*) "؛ 256 ص؛ لندن 1950 –**
- **"ظهور تركيا الحديثة(*The Emergence of Modern Turkey*) "؛ 524 ص؛ نيويورك – 1961**
- **"الحشاشون: فرقة متطرفة في الإسلام (*The Assassins: A Radical Sect in Islam*)؛ 176 ص؛ لندن 1967 –**
- **"المسلمون يكتشفون أوروبا(*The Muslim Discovery of Europe*) "؛ 352 ص؛ نيويورك 1982 – ترجمه الدكتور ماهر عبد القادر ونشرت المكتبة الأكاديمية بالقاهرة طبعته الأولى سنة 1996**
- **"يهود الإسلام(*The Jews of Islam*) "؛ 280 ص؛ نيويورك 1987 -**
- **"الإسلام: من النبي محمد وحتى فتح القسطنطينية (*Islam: From the Prophet Muhammad to the Capture of Constantinople*)؛ 352 ص؛ نيويورك 1987 –**
- **"لغة السياسة في الإسلام(*The Political Language of Islam*) "؛ 184 ص؛ شيكاغو 1988 –ترجمه الدكتور ابراهيم شتا ونشرته دار قرطبة سنة 1993**

[1] علي،علي،دراسة بعنوان(وثيقة برنارد لويس لخدمة المشروع الصهيوني- الامريكي)م.س.

- "العرق والرق في الشرق الأوسط(*Race and Slavery in the Middle East*) "؛ 224 ص؛ نيويورك 1990 –
- "عالم الإسلام: إيمان وشعوب وثقافة (*The World of Islam: Faith, People, Culture*)؛ 360 ص؛ نيويورك 1991 –
- "الإسلام والغرب(*Islam and the West*) "؛ 240 ص؛ نيويورك 1993 –
- "الإسلام في التاريخ: أفكار وشعوب وأحداث في الشرق الأوسط (*Islam in History: Ideas, People and Events in the Middle East*)؛ 496 ص؛ شيكاغو 1993 –
- "تشكيل الشرق الأوسط الحديث(*The Shaping of the Modern Middle East*) "؛ 200ص؛ نيويورك 1994 –
- "ثقافات متناحرة: مسيحيون ومسلمون ويهود في عصر الإكتشاف (*Cultures in Conflict, Christians, Muslims and Jews in the Age of Discovery*)؛ 126 ص؛ نيويورك 1994 –
- "الشرق الأوسط: تاريخ موجز لألفي عام (*The Middle East: A Brief History of the Last 2,000 Years*)؛ نيويورك 1995 –
- "كمال أتاتورك: تحويل صورة أمة (*Kemal Atatürk : Transforming the Image of a Nation*)؛ 141 ص؛ 1995
- "مستقبل الشرق الأوسط(*The Future of the Middle East*) "؛ لندن 1997 –
- "الهويات المتعددة للشرق الأوسط (*The Multiple Identities of the Middle East*)؛ 176 ص؛ لندن 1998 –
- "فسيفساء الشرق الأوسط(*A Middle East Mosaic*) "؛ 496 ص؛ نيويورك 2000 –
- "ما الخطأ؟(*What Went Wrong?*) "؛ 208 ص؛ لندن / نيويورك 2002 – ترجمه عماد شيحه بعنوان:أين يكمن الخطأ وصدرت طبعته الأولى عن دار الرأي بدمشق سنة 2006
- "أزمة الإسلام: الحرب المقدّسة والإرهاب المدنّس(*The Crisis of Islam: Holy War and Unholy Terror*)؛ 190 ص؛ نيويورك 2003 -
- "أسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية"( ***Istanbul and the civilation of the ottoman empire)*** ;, لندن ***1963***..ترجمه الدكتور رضوان السيد وصدرت طبعته الأولى عن جامعة بنغازي سنة **1974**


**المصادر والمراجع**

- تاج مصادرنا:كتاب الله المجيد

الكتب

بدوي،عبد الرحمن

- موسوعة المستشرقين،دار العلم للملايين-بيروت،1984

حميش،سالم

- الاستشراق في أفق انسداده،المجلس القومي للثقافة العربية،الرباط 1991

سعيد،إدوارد

- الاستشراق،ترجمة كمال أبو ديب،مؤسسة الأبحاث العربية –بيروت 1981

شاخت وبوزورث(محرران)

- تراث الإسلام،ترجمة مجموعة من المترجمين،سلسلة عالم المعرفة- الكويت ط1988،2،ج1

العقيقي،نجيب

- المستشرقون،دار المعارف،القاهرة،ط5 ،2006،ج2

علي،جواد

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،طبع بمساعدة جامعة بغداد،ط2 1993،ج2

عيسى،حسن عبيد

- غرانيق في سماء الاستشراق،مؤسسة النبأ للثقافة والإعلام،2006

لبيب،الطاهر (محرر)

- صورة الآخر:العربي ناظرا ومنظورا إليه، وهو عبارة عن محاضر الندوة التي عقدتها الجمعية العربية حول (صورة الآخر)في الحمامات بتونس نهاية آذار 1993مركز دراسات الوحدة العربية والجمعية العربية لعلوم الاجتماع،بيروت 1999

لويس،برنارد

- اكتشاف المسلمين لأوربا،ترجمة ماهر عبد القادر،المكتبة الاكاديمية،القاهرة،1996

- أين يكمن الخطأ،ترجمة عماد شيحة،دار الرأي للنشر،دمشق 2006

- تاريخ اهتمام الانكليز بالعلوم العربية،كتيب لا يحوي اية معلومات سوى:(يحوي ست مقالات نشرت لأول مرة في "المسمع العربي"،الطبعة الثانية

- لغة السياسة في الإسلام،ترجمة د.إبراهيم شتا،دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث، قبرص، 1993

ناجي،عبد الجبار

- التشيع والاستشراق،المركز الأكاديمي للأبحاث،2011

هنتگتون،صاموئيل

- صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي،ترجمة:مالك عبيد أبو شهيوة ومحمود محمد خلف،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان،مصراته،ليبيا،1999

ياقوت،شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي(ت سنة 626 هـ)

- معجم البلدان،دار صادر ودار بيروت،بيروت 1979 ج4

يفوت،سالم

- حفريات الاستشراق،المركز الثقافي العربي –بيروت 1989

دوريات وصحف

البراري،حسن،دراسة بعنوان(هل تتحقق نبوءة برنارد لويس بتفتيت العالم العربي والاسلامي) نشرت في (الاقتصادية)العدد 6360 الصادر بتاريخ 2011/3/11

تركماني،عبد الله،دراسة بعنوان(حاضر بحضور وعيه:إدوارد سعيد..المثقف الكوني والهوية المركبة)،جريدة الحياة 2007/7/17

الحروب،خالد،دراسة بعنوان(العرب بين الاستشراق والاستغراب)جريجة الاتحاد الاماراتية،الاثنين 10 أوكتوبر 2007

الركابي،زين العابدين،دراسة بعنوان(الصهيونية: لنحقق أخطر أهدافنا: قبل الانتخابات الرئاسية!!) منشور في جريدة الشرق الأوسط،العدد9286،السبت 1 مايو 2004

الركابي،زين العابدين،دراسة بعنوان(وقائع مسيحية ويهودية موثقة..تنقض مقولات هذا الرجل) منشور في جريدة الشرق الأوسط،العدد 10322 السبت 3 آذار 2007

السكوت،حمدي،دراسة بعنوان(برنارد لويس:هل كانت دوافعه موضوعية)مجلة العربي العدد 559 يونيو 2005

السماك،محمد،دراسة بعنوان(الاستشراق في خدمة السياسة الأمريكية)،منشور في صحيفة المستقبل اللبنانية،العدد 3726 الجمعة 30 تموز 2010.

الشاعر،جمال،دراسة بعنوان(بلاغ كيدي)،صحيفة الأهرام القاهرية،العدد 43934- الأربعاء 21 آذار 2007

الصغير،خليل،دراسة بعنوان(برنارد لويس:بطريرك الاستشراق..ليتذكر المسلمون نعمة الاستعمار)منشور في مجلة مدارات غربية،وهي مجلة فصلية لبنانية،العدد الرابع تشرين الثاني(نوفمبر)/كانون الأول(ديسمبر) 2005

علي علي،دراسة عنوانها(وثيقة برنارد لويس لخدمة المشروع الصهيوني- الامريكي) نشرها في صحيفة المستشار الصادرة بتايخ 2013/2/18

عيسى،حسن عبيد،دراسة بعنوان(إشكالية تعريف الإرهاب)مجلة المستقبل،مركز المستقبل للدراسات والبحوث، بغداد العدد 3 صيف 2006

القاضي،أحمد عرفات،دراسة بعنوان(الاستشراق والاستغراب..عرض ومناقشة مقالات برنارد لويس)منشور في صحيفة الحياة 2010/9/7

قرم،جورج،دراسة بعنوان(صدام الحضارات والذاكرة التاريخية)مجلة العربي الكويتية،العدد 574،سبتمبر 2006

منصور،خيري،دراسة بعنوان(إدوارد سعيد بين التأويل والتقويل)صحيفة القدس العربي،السبت 22 شباط 2008

ولد أباه،السيد،دراسة بعنوان(برنارد لويس ..وعلمنة الإسلام)منشور في جريدة الشرق الأوسط، العدد 10678 الجمعة 22 شباط 2008.